موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



ندوات تلفزيونية

قناة الامارات

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة الإمارات - ندوات مختلفة - الحلقة (1) : القدوة الحسنة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1993-04-13

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

في البداية سؤالنا الأول للأستاذ محمد راتب النابلسي ، هل لكم أن تحدثوننا عن القدوة بشكل عام ، معناها .

الاستاذ راتب:

أيها الأخوة المشاهدون : الإسلام لا يتألق ، ولا يدخل الناس فيه أفواجاً ؛ إلا بالتطبيق العملي ، والتطبيق العملي ، قيمة أساسية من قيم الإسلام ، فالناس لا يتعلمون بآذانهم ، بل بعيونهم ، ولغة العمل أبلغ من لغة القول ، وترك دانق من حرام ، خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام .

ويقول عليه الصلاة والسلام : وهو سيد الخلق ، وحبيب الحق هو قدوتنا وأسوتنا ، يقول: والله لأن أمشي مع أخ مؤمن في حاجة خير لي من صيام شهرٍ واعتكافه في مسجدي هذا .

ويقول بعض المفكرين : إن مثلاً واحداً أنفع للناس من عشرات المجلدات ، لأن الأحياء لا يصدقون إلا المثل الحي ، لهذا كان النبي الواحد بجهاده ، وخلقه ، أنفع للبشرية من آلاف الكتاب الذين ملؤوا بطون المجلدات ، بالفضائل ، والحكم ، إن معظم الناس يستطيعون لحديث عن المثل العليا ، ولكنهم لا يعيشونها ، لهذا كانت حياة الأنبياء إعجازاً ، وكانت النتائج الذين خلفوها معجزةً أيضاً .

ملك عمان التقى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال كلمة دقيقة بالغة الدقة قال : والله ما دلني على هذا النبي الأمي ، إلا أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلِب فلا يبطر ، ويُغلب فلا يضجر ، ويفي بالعهد ، وينجز الوعد.

القدوة الحسنة والمثل الأعلى والأسوة الصالحة : لها تأثير سحري في الناس الذين دعونا إلى الإسلام ، لأن الناس كما قلت قبل قليل يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم ، ويصدقون المثل الحي ، ولا يصدقون الفكرة المجردة، بل إنهم في أشد الحاجة إلى مسلم يعيش بينهم ، تنطق أفعاله ، وحركاته ، وسكناته بحقائق الإسلام ، كم مسلم يمتلئ عقله معلومات غزيرة حول الإسلام ، ولكن بينه وبين الإسلام مسافات شاسعة.

فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي :

هل لكم أن تقدموا لنا نماذج للقدوة الصالحة من حياة السلف الصالح في العصور المتألقة في الإسلام ؟.

سيدنا عمر بن الخطاب عملاق الإسلام ، كان قدوة صالحة لأتباعه في عصره ، فكان إذا أراد إنفاذ أمر ، جمع أهله وخاصته وقال: إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير إن رأوكم وقعتم وقعوا ، وايم الله لا أوتين بواحد ، وقع فيما نهيت الناس عنه، إلا ضاعفت له العقوبة لمكانته مني!. فصارت القرابة من عمر مصيبة ..! دققوا أيها الأخوة صارت القرابة من عمر بن الخطاب مصيبة .! لأن الخطأ من أقاربه يستوجب عقوبة مضاعفة .

مرةً رأى هذا الخليفة الراشد إبلاً سمينة ، قال لمن هذه الإبل قالوا هي لعبد الله بن عمر ، ابنك ، قال ائتوني به ، فلما جيء بعبد الله بن عمر ، رأى أباه غاضباً ، قال لمن هذه الإبل يا بني ، قال هي لي ، اشتريتها بمالي ، وبعثت بها إلى المرعى لتسمن ، فماذا صنعت فقال رضي الله عنه قولته الشهيرة ، ويقول الناس ارعوا هذه الإبل فهي لأبن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لأبن أمير المؤمنين وهكذا تسمن إبلك يا ابن أمير المؤمنين ، هل عرفت لماذا هي سمينة بع هذه الإبل ، وخذ رأس مالك ، ورد الباقي لبيت مال المسلمين .

في أواخر عهده بالخلافة ، جاءته رسل سيدنا سعد بن أبي وقاص، تبشره بالنصر ، ويحملوا هؤلاء الغنائم ، وضعت الغنائم فكانت أكوام عظيمة ، فإذا من بينها تاج كسرى ، وسواراه ، وثيابه فما كان من سيدنا عمر رضي الله عنه إلا أن تعجب وقال : أن الذين أدوا هذا لأمناء، كان إلى جانبه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال يا أمير المؤمنين أعجبت من أمانتهم ؟ لقد عففت فاعفوا ولو وقعت لوقعوا ، وفي رواية ولو ركعة لركعوا .

وضع له طعام طيب ، وقدم له سنام الجمل ، فبكى بكاءً شديداً وقال : بئس الخليفة أنا ، إذا أكلت أطيبها، وأكل الناس كراديسها .

جاءته هدية من أذربيجان ، من واليه على أذربيجان ، فلما فتحها وجدها طعاماً نفيساً ، قال يا هذا ، أيأكل عندكم عامة المسلمين من هذا الطعام ؟ قال لا : إنه طعام الخاصة ، فكتب إلى واليه على أذربيجان ، كيف يعنيك شئن المسلمين إن لم تأكل مما يأكلون ، وقال حرام على بطن عمر أن يذوق طعاماً لا يطعمه فقراء المسلمين ، ثم أمر بالهدية فوزعت على فقراء المسلمين في المسجد النبوي الشريف .

هذا الخليفة الراشد جاءه مرة جبلة بن الأيهم ملك الغساسنة مسلماً، رحب به أشد الترحيب، وأنزله منزلته ، كما أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان الموسم موسم حج ، ففيما هو يطوف حول الكعبة، جاء بدوي من فزاره ، فداس طرف إزاره ، فنجاب رداءه عن كتفه ، أي انزاح قليلاً ، والبدوي فعل هذا خطأً ، ولم يقصد أن يسئ لهذا الملك ، ما كان من هذا الملك الغساني إلا أن التفت إلى هذا

الفزاري وضربه على أنفه ضربة هشمت أنفه ، ماذا يفعل هذا الفزاري ذهب إلى عمر بن الخطاب ، يشكو ملك الغساسنة ، سيدنا عمر استدعى ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم ، وقال :

يا ابن أيهم : جاءني هذا الصباح مشد يبعث في النفس المرارة بدوي من فزاره ، بجراح تتألم ، مقلة غارت وأنف قد تهشم ، فسألناه فألقى فادح الوزر عليك ، بيديك ،

أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح؟

قال جبلة : لست ممن ينكر أو يكتم شيئاً ، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيديا .

قال سيدنا عمر : أي حق يا ابن أيهم ؟ عند غيري يقهر المستضعف العافي ويظلم ، عند غيري جبهة بالإثم بالباطل تلطم نزوات الجاهلية ، ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديدا وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيدا ، يا ابن أيهم أرضي الفتى ، لابد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقاً بدمائه ، أو يهشمن الآن أنفك وتنال ما فعلته كفك .

قال : كيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ هو سوقة وأنا عرش وتاج كيف ترضى أن يخر النجم أرضى .

قال : دعك من هذا وجنبني اللجاجة ، أنتما ندان في ظل الرسالة.

قال : كان وهماً ما جرى في خلدي ، أنني عندك أقوى ، وأعز أنا مرتد إذا أكرهتني .

فقال عمر : عنق المرتد بالسيف تحز ، عالم نبنيه ، كل صرح فيه ، كل صدع فيه بشبى السيف يداوى، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

سيدنا عمر جاءته رسالة من بعض الولاة ، قال يا أمير المؤمنين: إن أناس قد اغتصبوا مالاً ليس لهم ، لست أقدر على استخراجه منهم ، إلا أن أمسهم بالعذاب ، فإن أذنت لي فعلت.

فقال عمر : يا سبحان الله ! أتستأذنني في تعذيب بشر ؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله أقم عليهم البينة ، فإن قامت فخذهم بالبينة ، فإن لم تقم فادعوهم بالإقرار فإن أقروا فخذهم بإقرارهم ، فإن لم يقروا ، فدعوهم لحلف اليمين ، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، وايم الله لأن ألقى الله ، لأن يلقوا الله بخيانتهم أهون من أن ألق الله بهم .

أيها الأخوة الأكارم ، أيها الأخوة المشاهدون :

سيدنا عمر رضي الله عنه خلده التاريخ ، وهناك يعني ذكر له طيب في كل بقاع العالم ، لماذا ؟ لأنه طبق في سلوكه ما قاله بلسانه في عام المجاعة شحت المواد ، وقلت اللحوم ، فقرقر بطنه ، فخاطب بطنه وقال : قرقر أيها البطن أو لا تقرقر ، فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين .

هذه بعض النماذج من هذا الخليفة الراشد ، الذي ملئ الأرض بعدله ورحمته .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الإمارات - ندوات مختلفة - الحلقة (2) : قيمة العمل

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1993-04-20

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

أستاذ راتب النابلسي، السؤال الأول حول العمل ، هو في الواقع فيه بعض التساؤلات .

لماذا نعمل ؟

وما هو الدافع للعمل ؟

وما هو الهدف من العمل ؟

ولماذا قارن الله تعالى الإيمان بالعمل الصالح في آيات القرآن؟

الاستاذ راتب:

الإنسان أيها الأخوة المشاهدون : هو المخلوق الأول لأنه قبل التكليف ، قال تعالى :

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً (72)

(سورة الأحزاب :72)

ما الأمانة ؟ إنها نفسه التي بين جنبيه ، فالإنسان إذا عرف نفسه بخالقها ، وعرفها بمنهجه، وحملها على طاعته ، وحملها على التقرب إليه ، بخدمة عباده ، وخلقه فقد زكاها .

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)

(سورة الشمس : 9)

أما إذا أبقاها جاهلة ، وأبعدها عن طريق الحق ، ولم يحملها على طاعة الله ، وأعطاها شهواتها ، الأمر الذي يستلزم أن تسيء إلى الخلق ، عندئذٍ يكون قد دساها .

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

(سورة الشمس : 10)

ويا أيها الأخوة الأكارم : الإنسان حينما حمل الأمانة ، سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض ، سخرها له تسخير تعريف وتسخير تكريم ، ولأنه سخر له ما في السماوات وما في الأرض ، كان الإنسان أكرم من المسخر له ، المسخر له أكرم عند الله عز وجل من المسخر .

قال تعالى :

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70)

(سورة الإسراء : 70)

هناك ملاحظة دقيقة هي من صلب الموضوع ، الأرض بما فيها ، ومن عليها ، والسماوات كذلك ، مسخرة للإنسان ، لكن الخيرات التي أودعها الله في الأرض ، والتي سخرها للإنسان ، الملاحظ في الأعم الأغلب ، أن الإنسان لا يستطيع أن يستفيد منها إلا إذا تدخل بجهد منه ، هذا الجهد الذي يبذله الإنسان ، من أجل أن تصبح هذه الخيرات قابلةً للانتفاع بها ، فالبئر لابد من أن تحفر ، والنبات لابد من أن يزرع ، والمعادن لابد من أن تستخلص ، ربنا سبحانه وتعالى شاءت حكمته ، أن يجعل الخيرات التي في الأرض ، لا يستفاد منها إلا بجهد بشري ، بعضه علم ، وبعضه عمل ، وفوق ذلك ربنا جل جلاله أودع في الإنسان دوافع فطرية ، خلق له حاجةً إلى الطعام والشراب وأودع فيه الدافع نحو الطعام والشراب ، وأودع فيه الحاجة إلى الجنس الآخر ، فخلق فيه هذه الغريزة ، وأودع فيه رغبة في التفوق ، وما يسميه علماء النفس تأكيد الذات .

فالإنسان من جهة يحس بالجوع ، إذاً يبحث عن الطعام ، يحس بحاجة إلى الطرف الآخر، يبحث عن زوجة ، يحس بحاجةٍ إلى تأكيد ذاته ، إذاً يتجه نحو البطولة ، أو التجاوزات .

الإنسان أيها الأخوة : حينما يندفع إلى تأمين طعامه ، وشرابه وسائر حاجاته المادية ، والمعنوية ، يعمل بدافع من فطرته ، وحينما يعمل يبتلى ، والله سبحانه وتعالى ، جعل علة خلق الإنسان في هذه الأرض الابتلاء ، إنا كنا مبتلين .

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)

(سورة الملك : 2)

إن الجنة التي خلقها الله للإنسان تحتاج إلى عمل ، والعمل يندفع إليه الإنسان من خلال تأمين حاجاته الأساسية ، ومن خلال أن طبيعة الخيرات التي أودعها الله في الأرض ، لا يستفاد منها إلا عن طريق العلم ، والعمل ، فلذلك فطرة الإنسان تقتضي أن يبحث عن حاجاته الأساسية ، وهو يبحث عن حاجاته الأساسية يبتلى ، فعلمه وعمله ، إما أن يرفعه إلى أعلى عليين ، وعلمه وعمله ، قد يهبط به إلى أسفل سافلين .

إذاً :

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)

(سورة العنكبوت : 2)

من خلال العلم والعمل ، من خلال تأمين الحاجات الأساسية لأن المواد التي أودعها الله في الأرض لا يستفاد منها ، إلا عن طريق تدخل جهد بشري أساسه العلم والعمل ، يندفع الإنسان بفطرته وبتصميم الله لطبيعة الكون الذي من حوله يندفع إلى العمل ، فهو يعمل شاء أم أبى .

ولكن الله سبحانه وتعالى أكثر من مائتين آية ، قرن العلم بالعمل ، لأن العلم بحد ذاته ليس غاية ، إنما هو وسيلة ، فما لم يستخدم العلم من أجل رفع مستوى العمل ، ومن أجل نفع البشر ، هذا العلم لا قيمة له ، فالناس يحاسبون على أعمالهم ، وما العلم إلا من أجل العمل الصالح .

لذلك فسر المفسرون قوله تعالى :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

(سورة الذاريات : 56)

فسروا العبادة بأنها طاعة طوعيه ، ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية، فعلة وجودنا على وجه الأرض أننا نعمل ، فا بالعمل نرقى ، وبالعمل نمتحن ، وبالعمل نسعد سعادةً أبدية ، وبالعمل نشقى شقاوةً أبديه ، والإنسان حجمه عند الله بحجم عمله الصالح ، هذه بعض المنطلقات النظرية بطبيعة العمل ، ما من إنسان على وجه الأرض إلا وله عمل قد يكون صالحاً فيسعد به وقد يكون سيئاً فيشقى به ، والناس رجلان لا ثالث لهما ، إنسان يعرف الله ، يتصل به ، منضبط بالشرع ، محسن إلى الخلق ، وإنسان آخر لا يعرف الله ، متفلت من شرعه ، مسيء إلى الخلق .

قال تعالى :

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (18)

(سورة السجدة : 18)

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)

(سورة القلم : 35 - 36)

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)

(سورة الجاثية : 21)

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)

(سورة القصص : 61)

أيها الأخوة الكرام :

الإنسان يسعد بعمله ، ويشقى بعمله ، وقد قال الخليفة الراشد سيدنا عمر بن عبد العزيز : الليل والنهار يعملان فيك ، فعمل فيهما بل إن الله سبحانه وتعالى أقسم بالعصر الذي هو مطلق الزمن .

معنى الخسارة هنا أن مضي الزمن وحده يقتضي خسارة الإنسان لأن الإنسان بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه وما من يوم ينشق فجره إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة .

إذاً الإنسان في خسارة ، لأنه زمن ، أو لأن الزمن يستهلكه ويستطيع تلافي هذه الخسارة، إذا أنفق الزمن إنفاقاً استثمارياً ، لا إنفاقاً استهلاكيا .

قال تعالى :

وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

(سورة العصر)

فحجمك أيها الإنسان عند الله بحجم عملك ، قال تعالى :

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا

(سورة الأحقاف : 19)

المذيع:

شكراً للأستاذ راتب النابلسي ، ونخلص من هذا ، من خلال كلامك ، إلى أن العمل في الإسلام فطرة ، وواجب ، وحق ، وأن عمل الإنسان هو الذي يحدد مصيره الأبدي ، إما نعيم دائم ، وإما معاذ الله عذاب دائم ، هذه هي النقاط التي أشرت إليها .

الأستاذ راتب :

أذكر أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يعين والياً على بعض الأنصار ، وكان من عادته أن يمتحن ولاة الأمر ، سأله هذا السؤال ، ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ فالجواب الذي يعرفه الوالي ، قال : أقطع يده ، فقال عمر : إذاً فإن جاءني من رعيتك من هو جائع ، أو عاطل ، يعني بلا عمل فسأقطع يدك ، وتوجه إلى الوالي ، قال يا هذا : إن الله قد استخلفنا عن خلقه ، لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإن وفينا لهم ذلك ، تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة ، قبل أن تشغلك بالمعصية .

والنبي عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فرأى شاباً ما بين الصلاتين ، سأله ماذا تعمل ؟ لا أعمل شيئاً ، سأله النبي الكريم ، من يطعمك ؟ قال أخي ، قال أخوك أعبد منك ، وحينما أمسك بيد عبد الله بن مسعود ، فرآها خشنة ، أمسكها ورفع يد بن مسعود بين أصحابه وقال: إن هذه اليد يحبها الله ورسوله .

المذيع : هذا يذكرني بالحديث الشريف : الساعي على الأرملة والمسكين كالصائم والقائم،بالمعنى هذا ، يعني العمل وصلت قيمته العظيمة ، والجزاء عليه إلى درجة الصائم ، والقائم ، لمن يسعى على الأرملة، والمسكين ، والضعيف .

الأستاذ راتب:

الإنسان ، عمل الإنسان ، حرفته ، مورد رزقه ، إذا كانت حرفته في الأصل مشروعة ، ومارسها بطريقة مشروعة وابتغى بها كفاية نفسه ، وكفاية أهله ، ومن يلوذ به، ، وابتغى بها خدمة المسلمين ، وتيسير حاجاتهم ، وحل مشكلاتهم ، ولم تشغله حرفته ولا عمله ، عن فريضة ، أو واجب ، أو طاعة .

ما قولكم أيها الأخوة المشاهدون :

حرفة الإنسان ، وعمله بهذه الشروط تنقلب إلى عباده ، بل إن أصحاب النبي عليهم رضوان الله كانوا مع النبي الكريم وقد مر رجل ، فرأوه ذا جَلد ، ونشاط ، فقال بعضهم يا رسول الله : لو كان هذا في سبيل الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : دققوا أيها الأخوة ، قال عليه الصلاة والسلام : إن كان هذا الرجل يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها ، فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج رياءً ومفاخرةً ، فهو في سبيل الشيطان .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة الإمارات - ندوات مختلفة - الحلقة (3) : الثقة بالنفس.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 27-04-1993

بسم الله الرحمن الرحيم

المذيع:

فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي ، نقرأ قول الله مرة أخرى:

إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

الإنسان يضعف ، ويقوى ، ويمر بمراحل متعددة من الإيجاب إلى السلبية ، هل هناك تفسير ديني لهذه الأطوار ، التي يمر بها الإنسان ، ومتى ينتصر الإنسان على ضعفه ، لتعود إليه ثقته بنفسه ؟ .

الآية التي تفضلتم بها ، وهي قوله تعالى :

إنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

الاستاذ راتب:

الإنسان أيها الأخوة المشاهدون : من خلال نص هذه الآية هلوعٌ ؛ أي كثير الهلع ، وقد فسر الله جل جلاله الهلع ، بأنه " إن الإنسان خلق هلوعا " من هو الهلوع " إذا مسه الشر جزوعا " ؛ أي كثير الجزع " وإذا مسه الخير منوعا "إلا المصلين ".

هذا أيها الأخوة :

ضعف خلقي ، في أصل بنية الإنسان ، أراد الله عز وجل أن يكون الإنسان ضعيف ، في آية أخرى ، يقول جل وعلا :

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (28)

(سورة النساء : 28)

أراد الله أن يكون الإنسان ضعيفاً ، لحكمة بالغة ، بالغة ، لو أن الله سبحانه وتعالى ، خلق الإنسان قوياً، كما يحلو له ، لاستغنى في قوته ، وبعد أن يستغني في قوته ، يشقى باستغنائه، لكن الله جل جلاله، خلق الإنسان ضعيفا ليفتقر إلى الله في ضعفه ، فإذا أفتقر إلى الله في ضعفه ، سعد في الدنيا والآخرة ، بافتقاره إلى الله ، إذاً هذا ضعف خلقي ، ولكن لصالح الإنسان .

ألا ترون أيها الأخوة ؟..

أن بعض الأجهزة الكهربائية الغالية ، فيها وصلة ضعيفة جداً بيحث لو أن التيار الكهربائي أشتد ، تذوب أو تنصهر هذه الوصلة ويسلم الجهاز ، إذاً نقاط الضعف في الآلة الكهربائية ، لصالح الآلة الكهربائية .

كذلك الإنسان ، خلق ضعيفا ، لصالح إيمانه ، ولصالح إقباله على الله ، ولصالح سعادته الأخروية ، الآية الكريمة :

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

هذا أصل خلق الإنسان ، هذه طبيعة الإنسان قبل أن يعرف الواحد الديان ، ولكن إذا أتصل هذا الإنسان الضعيف بمنبع القوة ، إذا أتصل بالله عز وجل ، غدا من أقوى الأقوياء ، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، لكن الاتصال الحقيقة بالله ، ليس في متناول المقصرين ، ولا العصاة ولا المذنبين ، فقد ورد في الحديث القدسي : ليس كل مصلٍ يصلي، هذه الصلاة الجوفاء التي يصلوها بعض الناس التي لا استقامة من قبلها ، ولا ورع من بعدها ، هذه الصلاة التي يصلونها بعض الناس ، أشار إليها القرآن الكريم .

قال تعالى :

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)

(سورة الماعون : 4 - 5)

وقد قال عليه الصلاة والسلام : الصلاة معراج المؤمن الصلاة نور ، من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لن يزدد من الله إلا بعدا .

الحديث القدسي : ليس كل مصلٍ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي .

لابد من أن تفكر في خلق السماوات والأرض ، لابد من أن تتعرف إلى الله عز وجل ، حتى تنتقل إلى الاتصال به ، يجب أن يعلم الأخ الكريم المشاهد ، أن الله عز وجل غاب عن أنظارنا ، ولكن أثاره بين أيدينا ، الكون كله ينطق بوجوده ، وينطق بكماله ، وينطق بوحدانيته .

وقد قال الله عز وجل :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)

(سورة آل عمران : 190 - 191)

ويقول الله عز وجل :

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(سورة فاطر : 28)

أنا أشرح كلمة ؛ أنا أتقبل الصلاة لمن تواضع لعظمتي .

بين الشمس والأرض كما يقول علماء الفلك : 156 مليون كيلو متر ، والشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة ، وفي أحد أبراج السماء وهو برج العقرب ، نجم صغير ، صغير متألق أحمر اللون اسمه قلب العقرب ، إن هذا النجم الصغير ؛ يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما .

قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(سورة يونس : 101)

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(سورة فاطر : 28)

في الحديث القدسي : ليس كل مصل يصلي ، إنما أتقبل الصلاة لمن تواضع لعظمتي ، وسبيل خشية الله عز وجل ، وإدراك عظمة الخالق جل وعلا ، التفكر في خلق السماوات والأرض ، فلو نظر أحدنا إلى السماوات والأرض ، وما فيها من آيات دالة على عظمة الله لوجد العجب العجاب .

من هذه الآيات أن بيننا وبين أقرب نجم ملتهب إلى الأرض أربع سنوات ضوئية ، وهذه السنوات الضوئية ، لو أردنا أن نقطعها بمركبة أرضية لحتجنا إلى أكثر من خمسين مليون عام ، نسير نحو هذا الكوكب ، الذي يعد أقرب الكواكب إلينا ، فما القول في النجم القطبي الذي يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية ، وما القول في مجرة المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليون سنة ضوئية ، وما القول في مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا ستة عشر مليون سنة ضوئية .

قال تعالى :

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)

(سورة الواقعة : 75)

سقت هذه الحقيقة العلمية لأؤكد لكم ، أن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله اتصالاً حقيقياً، إلا إذا عرف عظمته إنما أتقبل الصلاة لمن تواضع لعظمتي ، ولا يستطيع أن يذهب عن نفسه الجزع والهلع والحرص ، وضعفه الخلقي ؛ إلا إذا اتصل بالله جل جلاله .

أيها الأخوة الكرام :

إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكفى شهواته عن محارمي ، الصلاة الصحيحة لا تبنى إلا على طاعة الله .

قال تعالى :

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ

(سورة هود : 112)

وقال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

(سورة فصلت : 30)

وقال عليه الصلاة والسلام : ركعتان من ورع ، خير من ألف ركعة من مخلط ، ومن لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبئ الله بشيء من عمله .

إذاً : لن يستطيع أن يذهب عنا الخوف ، ولا القلق ، ولا الضعف النفسي ، ولا الهلع ، ولا الجزع ، إلا إذا اتصلنا بالله عز وجل ، ولم نستطيع أن نتصل به ، إلا إذا عرفنا عظمته، واستقمنا على أمره .

ونتابع الحديث القدسي : ليس كل مصل يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي ، ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب وآوى الغريب ، كل ذلك لي .

أيها الأخوة :

الاستقامة على أمر الله ، تمهد الطريق إليه ، فكل توبة من معصية ، هي في حقيقتها إزالة لعقبة جاثمة في طريق الصلة بالله عز وجل ، لكن الإنسان إذا استقام على أمر الله استقامة تامة ، بقي عليه أن يتحرك إلى الله ، والذي يحركه إلى الله عز وجل هو العمل الصالح قال تعالى :

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

(سورة فاطر : 10)

بل إن حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح ، أما في الحديث القدسي كلمة : كل ذلك لي ، هو الإخلاص ، والله سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وثواباً ، قالوا خالصاً ما ابتغي به وجه الله وثواباً ما وافق السنة .

فالعبادة في حقيقتها ، استسلام لأمر الله في الجوارح وإخلاص القلب لله عز وجل في الداخل .

فأصبحت الآية : " أن الإنسان خلق هلوعاً " ومعنى الهلوع أن كثير الجزع عند الشدائد، وكثير الحرص عند الخيرات ، هذا الضعف الخلقي لا يزول عنه إلا بالاتصال بالله عز وجل ، والاتصال بالله عز وجل ؛ ثمنه التعرف إليه من خلال الكون ، والاستقامة على أمره استقامة تامة تمهد الطريق إليه .

والحديث القدسي في بعض فقراته :

إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ورحم المصاب ، و آوى الغريب ، كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي ، إن نور

وجهه لأضوء عندي من نور الشمس ، على أن أجعل الجهالة له حلما ، والظلمة نورا ، يدعوني فألبيه، ويقسم عليّ فأبره ، أكلأه بقربي وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي كمثل الفردوس ، لا يمس ثمرها ، ولا يتغير حالها .

من ثمرات الصلاة اليانعة ، رؤية صحيحة ، واستقامة في السلوك ، وذهاب للقلق والخوف والجزع والوهن والضعف ؛ الذي يصيب الإنسان من دون أن يتصل بالله عز وجل.

شكراً للأستاذ راتب النابلسي ، نصل في النهاية إلى أن الاتصال بالله تعالى ، وبالذات عن طريق الصلاة بالنسبة للمؤمن يمهدان لهذا الطريق والسكينة النفسية ، وإلى الثقة بالنفس في هذا العالم المبدع .

نحن نتحدث عن الثقة بالنفس ، التي توصل الإنسان إلى السكينة النفسية وتعالج الاضطراب ، والتمدد عنده .

نقرأ الآية الكريمة مرة أخرى :

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ

الصلاة والصلة بالله تؤكد الثقة بالنفس ، وتؤكد الوصول إلى السكينة النفسية .

فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي : هل تريد أن تضيف شيئاً إلى هذا الكلام ؟.

والله هناك شيء آخر ، هو أن الإنسان حينما يؤمن بالحقائق عن طريق البحث ، والدرس، والتأمل ، والنظر ، والتلقي ، من هذه الحقائق ، حقيقة الوجود وقدم الوجود ، وبقاء الوجود ، وحقيقة التوحيد توحيد الذات ، والأفعال ، و الصفات ، وحقيقة الكمال الإلهي ، وأنما يبدو للإنسان شراً ، هو في الحقيقة نعمة باطنه ، لو كشف له الغطاء لحمد الله عليها .

الإنسان أيها الأخوة :

حينما يؤمن بالله وحده ، تطمئن نفسه لقول الله عز وجل :

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)

(سورة الشعراء : 213)

الإنسان أيها الأخوة ، إذا أمن بقوله تعالى :

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ

(سورة هود : 123)

ما أمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنك أن الأمر كله عائد إليه

مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (26)

(سورة الكهف : 26)

اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)

(سورة الزمر : 62)

لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)

(سورة الأعراف : 54)

يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

(سورة الفتح : 10)

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)

(سورة هود : 56)

إذا أمن بأنه لا موجود ولا رافع ، ولا خافض ، ولا معز ولا مذل ، ولا معطي ، ولا مانع إلا الله ، اطمأنت نفسه وتوحدت وجهته ، ومن جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله الهموم كلها ، واعمل لوجه واحد، يكفك الوجوه كلها .

أيها الأخوة الكرام :

الموحد مطمئنة نفسه ، إن الله يعطي الصحة ، والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين ، النفس الإنسانية ضعيفة في الأصل إذا لاذت بربها واستعانت به ، واطمأنت إلى عدالته ، وعملت في طاعته ، وتقربت إليه ، ألقى عليها السكينة ، والأمن ، والطمأنينة .

فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)

(سورة الأنعام : 81 - 82)

لذلك قالوا : ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، الشرك بالله يضعف الإنسان ثقة بنفسه ، ويشتتها ، ويبعثرها ، ويجعل أعمالها هباءً منثورا ، لكن التوحيد كهذه العدسة التي تجمع الأشعة في نقطة صغيرة تحدث فعلاً كبيراً ، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)

(سورة الرعد : 28)

موضوعنا كان الثقة بالنفس ، التي توصل إلى السكينة النفسية وتعالج الاضطراب والتردد ، والهواجس .

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

والحمد لله رب العالمين

الفهرس